واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان
الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى
هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله
ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي
بعضا لانه بعضه من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقتنعوا بان جعلوا له جزءا من خلقه حتى جعلوا له اجزاء اخس مما
اختير لهم وابغض الاجزاء اليهم حيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس
الذي جعل له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة
وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف لبني لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشأ في الحلية او جعلوا له او اتخذ ومن يتربى في الزينة يعني
البنات وهو في الخصام في الجدال غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف
الخبر اي من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي
وقرئ ينشاؤا بنشأ بمعناه ونظيره اعلام واعلاه وعلاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر
اخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلقنا اياهم فشاهدوهم اناثا فان
ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع آاشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا
بمد بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهن الملائكة ويسألون عن المسألة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو
شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل
لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم
المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى الانكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام اتيناهم
كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اي لا حجة لهم عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة
التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي تكون عليها الامام اي القاصدين منها الدين وكذلك ما ارسلنا من
قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار
بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم

ولو جئتكم

ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول
انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه
فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا
ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف اباءهم لابيه وقومه انني براء مما
تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء
وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والا
وثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية
او سيهدين الى ما وراء ما هداني وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته
فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه بالتخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع
من اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش واباءهم بالمد في
العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به في ذاته في قوله وجعلها كلمة
باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين
للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم
لهم معاندة الحق والاستخفاف به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى
القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم
لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف
بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التي
هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تألف
وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا ولا تصرف فكيف يكون فيما
هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع مصعد وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون
السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل الاشتمال او علة كقولك ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء
جمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به وما ان
وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بالاجلة

Copyright © King Saud University